جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

مادة: النقد العربي القديم

المحاضرة: الأولى

مفهوم النقد القديم

مدرس المادة: م.د. محمد صلاح شجاع

1447هـ 2026م

مفهوم النقد:

نشأَ النقد مع الأدب أو بعده بقليلٍ ، ونقول معه ؛ لأنّ الأديب قد يكون ناقداً لنفسِهِ ؛ فهو ينشئ النّصّ ، ثمَّ يُقوّمُهُ ، مثلما فَعَلَ شعراء مدرسة عبيد الشّعر ، ومنهم: زهير بن سُلمى وغيرِهِ ، في نظم الشّعر في حولٍ كاملٍ ؛ عليهِ ، سَمَّوا قصائدهم بـ(الحوليات) ، إذ يقوم الشاعر خلال الحول أو العام الذي يمرّ على القصيدة بمراجعتها وتقويمها ، بوساطة تبديل بعضٍ من ألفاظه، وإجراء تقديمٍ وتأخيرٍ على بعض الأبيات من محلّها إلى مواضع أخرى جديدةٍ ، ولا يقرأها ؛ إلاّ بعد مرور عامٍ بأكمله ، وإذا قلنا: إنّ النّقد قد نشأ بعد الأدب ، فهو ما يسمعه الجمهور من شعرٍ ونثرٍ من مُنشِئِهِ ، ومن ثَمَّ يُصْدِرون عليهِ حُكماً نقديّاً ، على نحو: أنْ يُعيبوا على المُنشئ استعماله ألفاظاً في غير مواضعها الحقّة ، أو أن يكون في قصيدتِهِ حشواً ، أو أنّها لم تلائم واقع الحال ، وغيرها من العيوب التي تبدو لعين الناقد .

معنى كلمة النقد:

النقد لغةً ، يعني: العطاء ؛ وأنقده الدّراهم : أعطاه إيّاها ، وتطّور المعنى في ما بعد ؛ حتى أصبح معنى النقد : إخراج الزّائف من العملة ، ونَقَدَ الدراهم ، معناه : أخرَجَ الزائف منها ، وعَرَفَ العملة الجيّدة من الرديئة .

أمّا استعماله في الأدب ، فمن باب المجاز ؛ في سبيل تقويم الأديب عمله ، ومعرفة محاسنه ، وإصلاح عيوبه ، والنّقد يعكس الوجه الآخر للأدب ، والمرآة التي تعكس للقارئ صورته الحقيقية ، من جانبَيّ : المحاسن والعيوب .

مناهج النقد:

المنهج النّفسيّ النّقديّ: وهو منهج نقديّ أدبي يرى أصحابه أنّ العمل الأدبي صورة للأديب ، فالعاطفة والإحساس ، وهما عنصران نفسيّان للأديب ، هما أهمّ ما يتكشّف عنه النّص الأدبيّ .

س: / ماذا يدرس المنهج النّفسيّ ؟

الجواب : أ- عملية الابتكار والصّنع والإبداع ، ب- دِلالة العمل الأدبيّ على نفسيّة منشئِهِ ، ج- أثر النّص في نفس القارئ .

المنهج الاجتماعي: وهو منهج نقديّ أدبيّ يعنى بدراسة العمل الأدبيّ في ضوء الظروف التي نشأ بها ؛ لأنّ الأدب ظاهرة اجتماعية أداتها اللغة ؛ فيجب فهم العلاقة الممتدة والتأثير المتبادل بين المجتمع والأديب .

المنهج الفنّي: هو منهج نقديّ أدبيّ يرى أصحابه أنّ النّصّ الأدبيّ مستقِلٌّ عن الأديب الّذي أنشأه وعن المجتمع الّذي أنشأ الأديب ، فالنّصّ هو بناء لغويّ قائم على العلاقات بين عناصر العمل الأدبيّ ، وهذه العناصر تستمدّ قيمها من ارتباطها فيما بينها .

النّقد الانطباعي : هو النّقد الّذي لم يكن مسمّياً على قواعد وأصول مقرّرة ، وإنّما يعتمد فيه على الذّوق والإحساس وتأثير الشعر في النفس ؛ فعدّته لمحة الخاطر والبديهة الحاضرة ، وكان وسيلة لتقييم الأدب في عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلاميّ (الأحكام الجزئية السّريعة الانطباعيّة) .

النّقد المنهجي: هو ذلك النقد القائم على قواعد وأُصول مقرّرة ثابتة للحكم على الأدب ؛ فهو خاضع للتعليل العلميّ والذّوق المستند إلى نظر العقل ، وقد بدأ ظهور هذا اللّون من العِلم في منتصف القرن الثاني للهجرة .

(نقد التهذيب والتّنقيح): هو النّقد الّذي يمارسه الشّاعر أو الأديب على نتاجاتهِ في طور تكوينها أو قبل بثّها للنّاس ، فهو ملازم للعملية الإبداعيّة ومتمّم لها .

(نقد القارئ أو المستمع): هو النقد الّذي يقوم على مواقف الرّضا أو الاستحسان من جهة نظرة جمهور المستمعين أو القرّاء إلى نتاج الأديب .

النقد الأدبيّ في عصر ما قبل الإسلام :

إنّ النّقد الأدبيّ الذي ظهر في عصر ما قبل الإسلام ، نقدُ بدائيٌّ وحُكمٌ أوّليٌّ ، لم يستند على معايير فنيّةٍ نقديّةٍ ؛ بل هو حكم عاطفيٌّ شّخصيّ ، قد خضع لذوقِ صاحبِهِ ؛ عليه سمّي هذا النّوع من النّقد بـ (النّقد الانطباعيّ) ، وهو نقدٌ فِطريٌّ خالٍ من التعليل والتفسير ،

عبّر عن وجهة نظر صاحبه ؛ عليه، قد حَكَمَتْ العرب على بيتٍ محدّدٍ ، بأنّه (أمدحُ بيتٍ) ، وعلى آخر بأنّه(أغزل بيتٍ)، وعلى آخر غيره ، بأنّه (أهجى بيتٍ) ، وقالوا: (هذا أشعر النّاس) ، (وذلك أشعر) ، ومن تلك الأحكام الانطباعية وجد النقد لنفسِهِ مكاناً في سوق عكاظ ؛ إذْ كانت تُنصَبُ قُبَّة حمراء للنابغة الذّبيانيّ ، فيأتيهِ الشعراء لِيُلقوا قصائدَهم عنده ، ويحتكمون إليهِ ؛ ليُصدِرَ عقِبَ ذلك أحكامَهُ النّقديّة على أشعارِهم ، ويُروى آنذاك : أنّ الأعشى كانَ أوّل من أنشده في واحدٍ من تلك الأعوام ، ثمّ جاء حسّان بنُ ثابت ، فأنشدَهُ :

لنا الجَفْنَاتُ الغُرُّ يلمعنَ بالضُّحَى وأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدَةٍ دَمَا

ولَدْنا بني العَنْقاءِ ، وابنَيْ مُحَرِّقٍ فأَكْرِمْ بنا خالاً وأَكْرِمْ بنا ابنَمَا

فقال له النابغة: أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك ، وقال الصُّوْليّ: إنّ النابغة أراد من حسّان أن يقول: بـــ(الدجى) بدلاً من (الضحى) ، و(يجرينَ) بدلاً من (يقطرْنَ) ، وأضاف ؛ أنّه عنى بقوله: أقللت جفانك وأسيافك: أنّ لفظة(جفنات): هي جمعُ قِلَّةٍ ، والجفان: جمعُ كَثْرةٍ ، و(أسيافُ): أيضاً ، جمْعُ قِلّةٍ ، والسُّيوف : جمعُ كَثْرةٍ .

قال الأستاذ الناقد المُحْدث طه أحمد إبراهيم : إنّ القصّة موضوعة ، فالعرب في تلك المرحلة لم تعرف جموع القِلَّة والكَثرة والجمع الصّحيح وجمع التكسير ، وهذه الأحكام لا بدّ لها أن تصدُر عن رجلٍ ضليعٍ في اللغة ، ويعرف الفرق بين ألفاظها .

* أمّا الدكتور ناصر حلاّوي – صاحب كتابنا المنهجيّ الذي ندرسه(محاضرات في النقد الأدبي القديم)- فكان له رأيٌ يعارض رأي الناقد طه أحمد إبراهيم ، فهو يرى أنّ العرب قد وصلوا في تلك المرحلة إلى أعلى درجات الفصاحة ، وهم بحسّم اللّغويّ يميّزون في استعمال الألفاظ ، ويعرفون حدود معانيها .

ونحن نتّفق مع ما ذهب إليه الناقد ناصر حلاّوي ؛ لأنّ الله - سبحانه وتعالى - قد تحدّى العرب في هذه المرحلة ، بقوّة لغتهم وبفصاحتهم ، وأنزل القرآن الكريم على رسوله الكريم

محمد(ﷺ) ، ونحن نعرف أنّ التحدّي لا بدّ أن يكون متكافئاً ، وتكافؤ العرب مع القرآن هو في لغتهم وفصاحتهم .

وهنالك حكم نقديّ آخر ، حكمت به أمّ جندب الطّائيّة بين زوجها امرئ القيس وخصمه علقمة الفحل ، حينما احتكم إليها ، فقالت لهما : قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على قافيةٍ واحدةٍ ورويٍّ واحدٍ ، فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤادِ الْمُعَذَّبِ

وقال علقمة الفحل:

ذَهَبتَ مِنَ الهِجرانِ فِي غَيرِ مَذهَبٍ وَلَم يَكُ حقًّا طُولُ هذَا التَجَنُّبِ

فقالت لامرئ القيس : علقمةَ أشعرُ منك ، فقال لها: كيف؟ ، قالت: لأنّك قلت :

فللسَّوط أُلهوبٌ وللسَّاق دِرَّةٌ وللزَّجر منه وَقْعُ أخْرجَ مُهذِب

فجهدتَ فرسكَ بسَوطِكَ وأتعبتَهُ ، أمّا علقمةَ ؛ فقد قالَ:

فَأَدرَكهُنَّ ثانِياً مِنْ عِنانهِ يَمُرُّ كمرِّ الرّائحِ الْمُتَحلِّبِ

فهو قد ترك العِنان لفرسه ، ولم يضربه ولم يتعبه .

* والحقيقة أنّنا لا نطمئنّ لمثل هذه القصّة ، لأسبابٍ عدّة منها:

أنّ العرب لم تعرف العروض بعدُ بمصطلحاتِهِ العلمية من جانبيّ : القافية وحرف الرّويّ ؛ لأنّ هذه التسميات من بنات القرن الثاني للهجرة ، وأمّ جندب عاشت في عصر ما قبل الإسلام ، قبل ظهور الرسالة السماويّة بما لا يقلّ عن خمسين سنةً , وهذه الشروط الثلاثة التي وضعتها أمُّ جندب ، من شروط الموازنة التي لم تكن معروفة عندهم ، وهي:(الغرض ، القافية ، الرّويّ) .

(الأسباب التي دعت إلى وجود النّقد الانطباعيّ):

أ- مسيرة الشعر الطويلة منذ بدئهِ بالحداء إلى اكتماله في طور القصائد الطويلة ؛ يستدعي منطقيّاً وعقليّاً ؛ حصول الإصلاح والتّهذيب له حتى اكتماله .

ب-استقرار المناهج الشعريّة والتّقاليد على وجه من الوجوه حتّى بعد نضج الشّعر ، ولأجيال عديدة ، على الرّغم من عوامل التّطوّر ، وأسباب التّغيير في الحياة الإجتماعيّة أو في موسيقى البيت أو القصيدة أو في الموضوعات الشعريّة .

ج- الدراسة الشعريّة ، المتحصّلة من رواية الشعر ؛ حتى سُميّت بـ(مدارس الشّعر) ، وإنّ لكلّ شاعرٍ راويةٍ يروي شعره ، ويحفظ معانيهِ ، ويتعرّف على أُسلوبِهِ الفنّي .

د- وجود الجمهور الأدبيّ الّذي يتذوّق الشّعر ويحكم عليهِ ، ومثاله: الأسواق الأدبية التي كانت تقام في أرجاء الجزيرة العربيّة ، نحو: سوق عكاظ وسوق المربد وسوق ذي المجاز .

أسباب قلّة الرّوايات النّقديّة :

1- لصعوبة حفظها ؛ لأنها من النثر، في حين أنّ الشعر أسهل في الحفظ في الصّدر من النثر .

2- انعدام وجود التّدوين .

3- ومن المرجّح أن يكون من بين الأسباب الأخرى ؛ هو انبهار العرب بالقرآن الكريم وطلبهم معانيهِ وإعجازهِ في المعنى والأُسلوب والمنهج ؛ فألهاهم مدّةً من الزّمن عن الشّعر وما يحيط به من نقدٍ .

4- ومن الممكن أن نعزوه إلى سببٍ آخر ، وهو انتشار العرب من رواة الشعر والنّقد في أراضي الفتوحات المتعددة بعد الإسلام ، واستشهاد العديد منهم في معارك الفتوح .

الموازنة النّقدية ؛ ومثالها: ما جرى من احتكامٍ للشعراء أمام حَكَمٍ في ما بينهم ، ومنها - على سبيل المثال- : احتكام الزّبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتّمْ ، وعبدة بن الطبيب والمخبّل السّعديّ إلى ربيعة بن حذار الأسديّ ، وموازنته في ما بين أشعارهم، وجعل بعضهم من طبقةٍ عليا ، وأخرى وسط ، وأخرى دونها .

ومنها أيضاً: احتكام شاعرين إلى أمّ جندب(زوج الشّاعر امرئ القيس) هُمَا: زوجها وعلقمة الفحل ، فوازنت بين بيتين من قصيدتيهما فيهما وصف فرس ؛ فحكمت لعلقمة ؛ بناءً على معنى الوارد في البيتين ، إذْ قال امرؤ القيس:

فللسوط ألهوبٌ ، وللسّاقِ درّةٌ وللزجرِ فيهِ وقعٌ أخرج مذهبِ

وقال علقمة:

فأدركهنّ ثانيةً من عِنانهِ يمُرّ كمَرّ الرّائحِ المتحلّبِ